بسم الله الرحمن الرحيم

التَّفَاؤُلُ فِي الحَيَاةِ سَبِيلٌ إِلى السَّعَادَةِ وَالفَلاحِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، جَعَلَ التَّفَاؤُلَ فِي الحَيَاةِ مِنْ شِيَمِ المُتَّقِينَ، وسَبِيلًا إِلى السَّعَادَةِ وَالفَلاحِ فِي الدَّارَيْنِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَحْسَنَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ وَصَبَرَ عَلَى المِحَنِ وَالشَّدَائِدِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ:

أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ تَعَالَى، فَإِنَّهَا سَبَبٌ لِتَبْدِيدِ الكُرُوبِ، وَتَحْقِيقِ المَرْغُوبِ، وبَسْطِ الأَرْزَاقِ، وَدُخُولِ جَنَّةِ الكَرِيمِ الخَلَّاقِ، قَالَ تَعالَى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ، وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ ﴾[1].

وَاعْلَمُوا –عِبَادَ اللهِ– أَنَّ اللهَ تَعالَى قَدْ جَعَلَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا مُتَقَلِّبَةَ الأَحْوَالِ، لا تَسْتَقِيمُ أَبَدًا عَلَى حَالٍ، ولا تَصْفُو لِمَخْلُوقٍ مِنَ الكَدَرِ، فَفِيهَا الخَيْرُ وَالشَّرُّ، وَالسُّرُورُ وَالحُزْنُ، وَيَأْتِي الأَمَلُ وَالتَّفَاؤُلُ شُعَاعَيْنِ يُضِيئَانِ دَيَاجِيرَ الظَّلامِ، وَيَشُقَّانِ دُرُوبَ الحَيَاةِ لِلأَنَامِ، فَيَبْعَثَانِ فِي النَّفْسِ الجِدَّ وَالمُثَابَرَةَ، وَيَمْنَحانِها الجَلَدَ وَالمُصَابَرَةَ، فَالَّذِي يُغْرِي التَّاجِرَ فِي تِجَارَتِهِ أَمَلُهُ فِي الأَرْبَاحِ، وَالَّذِي يَبْعَثُ الطَّالِبَ عَلى الْجِدِّ فِي دِرَاسَتِهِ أَمَلُهُ فِي النَّجَاحِ، وَالَّذِي يُحَبِّبُ إِلَى المَرِيضِ الدَّوَاءَ المُرَّ أَمَلُهُ فِي الشِّفَاءِ، وَالَّذِي يَدْعُو المُؤمِنَ إِلى أَنْ يُخَالِفَ هَوَاهُ، وَيُطِيعَ مَولاهُ، أَمَلُهُ فِي الفَوْزِ بِجَنَّتِهِ وَرِضَاهُ، وَإِذَا تَعَسَّرَ عَلَى المُؤْمِنِ شَيْءٌ لَمْ يَنْقَطِعْ أَمَلُهُ فِي تَبَدُّلِ العُسْرِ إِلَى يُسْرٍ، وَإِذَا اقْتَرَفَ ذَنْبًا لَمْ يَيْأَسْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ وَمَغْفِرَتِهِ، بَلْ يَرْجِعُ إِلَى رَبِّهِ وَلا يُسَوِّفُ فِي تَوْبَتِهِ، قَالَ تَعالَى: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2]، فَبِالأَمَلِ يَذُوقُ الإِنْسَانُ طَعْمَ السَّعَادَةِ، وَبِالتَّفَاؤُلِ يُحِسُّ بِبَهْجَةِ الحَيَاةِ، وَلَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعْجِبُهُ الفَأْلُ، لأَنَّ فِيهِ إِحْسَانَ الظَّنِّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(1) الطلاق: ٢ ، ٣
(2) الزمر: ٥٣

عِبادَ اللهِ:

جَدِيرٌ أَنْ يَلِدَ الإيمَانُ الأَمَلَ، وأَنْ تُثْمِرَ شَجَرَةُ اليَقِينِ التَّفَاؤُلَ، وَأَنْ يَكُونَ المُؤْمِنُ أَوْسَعَ النَّاسِ أَمَلًا، وأَكْثَرَهُمُ استِبْشَارًا وَتَفَاؤُلًا، فَهَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ لأَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: ((مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا!)). وَلا عَجَبَ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَذَا اليَقِينِ وَالتَّفَاؤُلِ؛ فَهَذِهِ صِفَاتُ إِخْوَانِهِ المُرْسَلِينَ مِنْ قَبْلِهِ، وقَدْ أَمَرَهُ رَبُّهُ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِمْ فِي قَولِهِ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾[1]، فَهَذَا إبراهِيمُ -عَلَيْهِ السَّلامُ- قَدْ صَارَ شَيْخًا كَبِيرًا، ولَمْ يُرزَقْ بِولَدٍ، فَدَفَعَهُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِالوَاحِدِ الأَحَدِ، وتَفَاؤُلُهُ بِالفَرْدِ الصَّمَدِ، أَنْ يَدْعُوَهُ لِيَرْزُقَهُ وَلَدًا مِنَ الصَّالِحِينَ فَقَالَ: ﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[2]، فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ وَوَهَبَ لَهُ إِسْمَاعِيلَ وإِسْحَاقَ نَبِيَّيْنِ مِنَ الصَّالِحِينَ، وهَذا نَبِيُّ اللهِ يَعقُوبُ -عَلَيْهِ السَّلامُ- فَقَدَ ابْنَهُ يُوسُفَ -عَلَيْهِ السَّلامُ- ثُمَّ أَخَاهُ، فَصَبَرَ عَلَى مِحْنَتِهِ وَبَلْوَاهُ، وَلَمْ يَتْرُكْ لِليَأْسِ مَجَالًا لِيُثَبِّطَهُ، ولا سَرَى فِي عُرُوقِهِ الشَّكُّ بِرَبِّهِ لِيُقْنِطَهُ، بَلْ تَفَاءَلَ وَرَجَا، أَنْ يَجِدَ لِمِحْنَتِهِ مَخْرَجًا، فَقَالَ بِقَلْبٍ مِلْؤُهُ اليَقِينُ، وَإِحْسَاسُ الصَّابِرِينَ المُتَفَائِلِينَ: ﴿ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[3]، ومَا أَجْمَلَهُ مِنْ تَفَاؤُلٍ وَأَمَلٍ، تُعَزِّزُهُ الثِّقَةُ بِاللهِ حِينَ قَالَ: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[4]، وأَيُّوبُ -عَلَيْهِ السَّلامُ- ابتَلاهُ رَبُّهُ بِذَهَابِ المَالِ، وَفَقْدِ العَافِيَةِ وَالعِيَالِ: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ، فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴾[5]، إِنَّ المُؤْمِنَ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا أَلَمَّ بِهِ وَأَصَابَهُ، قَدْ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيْهِ وَكَتَبَهُ، إِيمَانًا بِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾[6].

فَاتَّقُوا اللهَ -عِبَادَ اللهِ-، وَاجْعَلُوا فِي حَيَاتِكُمُ التَّفَاؤُلَ وَالأَمَلَ، وَلا تَرْكَنُوا إِلَى اليَأْسِ وَالفَشَلِ، وَاسْتَعِينُوا بِاللهِ وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ ﴾[7].

(1) الأنعام: ٩٠
(2) الصافات: ١٠٠
(3) يوسف: ٨٣
(4) يوسف: ٨٧
(5) الأنبياء: ٨٣ ، ٨٤
(6) التوبة: ٥١
(7) الطلاق: ٣

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِمَامُ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ، وَأَفْضَلُ خَلْقِ اللهِ أَجْمَعِينَ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ:

إِنَّ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ صِنَاعَةَ الحَيَاةِ، وَيَبْنُونَ أُسُسَ الحَضَارَةِ، هُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ تَفَاؤُلًا وَأَمَلًا، وَإِنَّ المُتَشَائِمِينَ لا يَصْنَعُونَ حَضَارَةً، وَلا يَبْنُونَ وَطَنًا، وَلا يَعْمُرُونَ دُنْيَا، فَكُونُوا -عِبادَ اللهِ- مِنْ أَهْلِ الأَمَلِ وَالتَّفَاؤُلِ تَنَالُوا فَضْلَهُ، وَإِيَّاكُمْ وَاليَأْسَ وَأَهْلَهُ، فَإِنَّهُ يُطْفِئُ جَذْوَةَ الأَمَلِ فِي النُّفُوسِ، وَيَقْطَعُ خُيُوطَ الرَّجَاءِ مِنَ القُلُوبِ، فَيُوْرِثُ الهُمُومَ وَالكُرُوبَ، وَيَقْتُلُ بَوَاعِثَ الجِدِّ وَالعَمَلِ، وَيُسْلِمُ صَاحِبَهُ لِلْكَآبَةِ وَالمَلَلِ، وَلَيْسَ اليَأْسُ وَالقُنُوطُ مِنْ صِفَاتِ المُؤْمِنِينَ، كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ المُبِينِ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾[1]، وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "أَكْبَرُ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَالأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ، وَالقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَاليَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ".

فَاتَّقُوا اللهَ -عِبادَ اللهِ-، وَأَحْسِنُوا الظَّنَّ بِاللهِ وَتَفَاءَلُوا، وَلا تَجْعَلُوا لِلْيَأْسِ طَرِيقًا إِلَيْكُمْ فَتَهْلِكُوا وَتَفْشَلُوا، وَتَذَكَّرُوا قَوْلَ اللهِ فِي الحَدِيثِ القُدُسِيِّ: ((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ)).

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، مُحَمَّدٍ الهَادِي الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[2].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى

(1) الحجر: ٥٦
(2) الأحزاب: 56

آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ كُنْ عَوْنًا للمُسْلِمِينَ والمُسْتَضْعَفِينَ فِي كلِّ مكانٍ، وَكُنْ مَعَهُمْ وَثَبِّتْهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبِّرْهُمْ، وَاخْذُلْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، وَاجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَنَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَنَسْأَلُكَ قُلُوبًا سَلِيمةً، وَأَلْسِنةً صَادِقةً، وَنَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَنعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا، وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا، وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾.